



ثورة النساء ونهضة العرب

ان تكون صورة العربي منبوذة في الغرب، وموضع اتهام وتجريح، فهذا ما تعودناه، وإن لم نتقبله. ولكن ان تصبح صفة "عربي" محرّك ضغينة الشارع في بلد من العالم الثالث، واسلامي فوق ذلك، فهذا ما يفترض ان يقرع ناقوس الخطر في جميع ديار العرب، فيدفع الى يقظة وحدها قادرة على تبديد الاحباط المرير الذي يحركه هذا التحول الرمزي الجديد، وقلّ الرعب الحقيقي الذي يثيره في نفس كل عربي يريد استشراف آفاق مضيئة للمستقبل. في كابول اليوم، كلمة "عربي" لم تعد تحمل معنى ايجابياً، في اقل تقدير، وبات تحمیل "العرب"، بالاضافة الى الباكستانيين، كل مساوئ حكم "طالبان" امراً شائعاً.

وحدهم العرب والباكستانيون، تضيف الروايات، قاوموا قوات "التحالف الشمالي" لحظة تحرير العاصمة الافغانية، فانتهدت جثثهم على قارعة الطرق. شيء من هذا القبيل حصل في السابق، ولكن زوراً. كان ذلك ابان الثورة على نظام تشاوشيسكو في رومانيا بطروفها الغريبة العجيبة، اواخر ١٩٨٩. فبعدها اطلقت النار على المنتفضين من الجيوب القليلة التي لم تستسلم بسرعة، قيل في التلفزيونات العالمية، نقلاً عن الشارع البوخارستي، ان طلاباً عرباً يقفون بجانب ميليشيا الحكم المتهاوي.

لم يكن لهذا الاتهام اي اساس من الصحة، على غرار الكثير من روايات تلك الثورة المفبركة، غير ان مجرد سوقه كان كفيلاً بالايحاء ان الصورة العالمية للعرب تنطوي على فكرة مناهضتهم للحرية. فكم بالحري عندما يكون للاتهام ما يبرره، مثلما يحصل في كابول؟ طبعاً، ان ردة الفعل الغاضبة ضد العرب تعود الى ضلوع عدد محدود منهم في ممارسات حكومة "طالبان".

لكن المشكلة ليست هنا، فالعلاقات الافغانية - العربية قد ترمّم غداً، كما قد لا ترمّم، وهي تبقى في اي حال ثانوية بازاء ما تنبئنا به صورة العرب في لحظة تحرير يبدون في منأى عنها. ولا ينفع القول هنا ان "الافغان العرب" ليسوا كل العرب، ولا سيما بعد كل ما تردّد، وعلى السنة معظم المعلقين بين المحيط والخليج، عن تعاطف الشارع العربي مع بن لادن واحتمالات انتصار هذا الشارع لحركة "طالبان" امام الحملة الاميركية، هذا حتى لا نحكي عن التعويلات الشائعة على معركة ارضية تُدَلّ فيها الولايات المتحدة.

والحال ان المشهد الاعلامي العربي، وليس فقط عبر قناة "الجزيرة"، سوق منذ شهرين موقفاً متهاوناً من "طالبان"، سواء اكان ذلك لسبب عقائدي، اي تمنى انتصار "اسلامي" مهما تكن تبعاته، ام لسبب وظيفي، اي تمنى هزيمة اميركية مهما يكن السبيل اليها. اما وقد اوشك نظام الملا عمر على الانهيار، من دون ان يحدث شيء مما تم تبشيرنا به، فان دعاة التعاطف مع "طالبان" او التهاون معها، وائاً تكن حجتهم لذلك، مدعوون ليس فقط الى مراجعة حسابات القوة التي تنظّم حتى اشعار آخر النظام العالمي، بل ايضاً وخصوصاً الى التنبيه لمعنى سقوط "امارة افغانستان" بالنسبة الى الافغان انفسهم.

يعرف سكان كابول ميليشيات "التحالف الشمالي" عن كثب، فقد ذاقوا الامرّين منها قبل ان تأتيهم "طالبان" بالامن. ومع ذلك، هم يحتفلون بخروج الحركة، معلنين ان الحرية اثن من الامن، واي



اعلان اكثر دلالة من اصوات الموسيقى المستعادة، وخرق ممنوعات النظام الشمولي الساقط بخلق اللحن وسفور النساء؟ لذا، لم يكن انتقال السلطة في كابول مجرد حلقة جديدة في مسلسل الحروب الافغانية، بل اكتسب معنى التحرير. ولعلها من المرات النادرة في التاريخ المعاصر التي يستتبع فيها التحرير العسكري تحرراً فردياً. وحتى ولو كان هذا التحرر محكوماً بالا يكتمل باعتبار ان الموروث الاجتماعي لا يختفي بين ليلة وضحاها، فان ما سيبقى من اندحار "الامارة" عن كابول هو مشهد استعادة نَفَس الحياة. عسى "الامراء" الكبار والصغار الذين يحرسون فضيلة المجتمعات العربية يتنبهون الى العيد الذي قابل تهافت ادعاء الفضيلة "الطالباني". ففي "ثورة" نساء كابول المحتفلات بنور الشمس يلفح مجدداً وجوههن درس لا يمكن التغافل عنه اذا شاء العرب العثور على طريقهم الضائعة الى النهضة. نهضة قد لا تكفي لمصالحتهم مع الافغان، لكنها وحدها كفيلة بمصالحتهم مع انفسهم.

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000480	
Media	(Support)	HC
Title		ثورة النساء ونهضة العرب
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/١١/١٦ 16/11/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	اسامة بن لادن - ملا عمر
	Locations	باكستان - رومانيا - كابول - افغانستان - ولايات متحدة
	Dates	١٩٨٩
	Themes	عرب - صفة "عربي" - طالبان - علاقات أفغانية عربية - حملة أميركية - أفغان عرب - أفغانستان - ثورة نساء كابول - قناة جزيرة - قوات تحالف شمالي - نظام تشاوشيسكو - ثورة رومانيا - نظام ملا عمر - نظام عالمي
Subject		